## الفصل الرابع

# الديانة الفارسية القديمة

## الديانة الفارسية القديمة

ينتمي الفارسيون إلى القبائل الهندوأوربية الذين كانوا يسكنون بالقرب من بحر قزوين، ومنهم قبائل تركوا مواطنهم -كما سنبين فيما بعد- واتجهوا غربًا ثم سكنوا في شبه جزيرة البلقان، وإلى هؤلاء ينسب الإغريق والرومان، وأقوام رحلوا نحو الشرق فذهب فريق إلى الهند وفريق سكن شرقي دجلة وهم الفرس [١].

ويطلق على الأقوام الذين ذهبوا إلى الهند وبلاد فارس اسم الآريين [٢]، ومن هذا الاسم اشتق إيران [٣].

### أهم مظاهر الديانة الفارسية:

لقد اشترك الفرس مع الآريين الآخرين في عبادة بعض الآلهة ويدل على ذلك أن الباحثين عثروا في الشمال الغربي الفارسي على آثار ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد تحمل أسماء أشهر آلهة الهند ومن بينها (أندرا)، (فارونا) (ميتهرا) وهي آلهة عبدت في الهند كما عبدت في فارس بعد أن حرفت أسماؤها أحيانًا، أما صفاتها الجوهرية ومميزاتها الخاصة فمتشابهة

---

(١) ج. إدجار، محمد شفيق غربال: التاريخ القديم ص٧٥. مطبعة المعارف سنة ١٩٣١م.

(٢) لقد شاع استعمال كلمة (الآريين) على جميع القبائل الهندوأوربية ولكن المحققين من العلماء ذكروا أنها لا تطلق على وجه الدقة إلا على القبائل التي استقرت في بلاد الهند وبلاد فارس، وكلمة (آري) تعني النجيب أو الوفي وكانت هذه الكلمة تطلق على الشرفاء، وقد سميت القبائل الهندية والفارسية التي جاءت من السهول القريبة من بحر القزوين بعد نزوحهم إلى بلاد الهند وفارس بهذا الاسم، ومنه اشتق اسم إيران (راجع حسن بيرينا: تاريخ إيران القديم ص١٣-١٦، محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة ص٦١-٦٣.

(٣) أما تسميتهم بالفرس فترجع إلى أن ملوك إيران حين اتجهت أنظار مؤرخي الإغريق إلى بلادهم كانوا يسكنون مقاطعة بارس، أو فارس، أو فارسيستان وهي المنطقة التي تقع في جنوب غرب إيران الحديثة على ضفة الخليج الفارسي.

لدى الشعبين تشابهًا يلفت النظر [١].

وإلى جانب هذا كان للفارسيين بعض الآلهة الأخرى قبل الزرادشتية، فقد كانت الديانة الفارسية تأمر بعبادة العناصر الأربعة، النار ممثلة في كوكبيها العظيمين: (الشمس، والقمر) والهواء، والماء، والتراب، وبتقديس كل مظاهر الطبيعة الأخرى [٢].

ولقد عبد الفارسيون قوى الطبيعة هذه وجسموها وشخصوها بهيئة آلهة فعبدوا الشمس بهيئة إله سموه (مثرا) والقمر باسم (ماه)، والأرض باسم (زام)، والنار باسم (أنار) والماء باسم (أفام نفت)، والريح باسم (وهيو) إلى آخره [٣].

وكان لهم بجانب هذا العبادات آلهة أخرى -يقول الباحثون عنها: إن لها عبادة الخاصة [٤] -كانوا يؤمنون فيها بالإلهين (ميثرا) و (أناهيتا) [٥] وغيرهما من آلهة الشعب ولكنهم كانوا يضعون على رأس هذه الآلهة جميعها الإله (أهورامازدا) وهذا الإله الرئيسي كان عندهم غير مرئي، ولم يكن له معبد خاص، وإنما كانت جميع بقاع الأرض معابد له، وإن النار لم تكن إلا رمزًا فحسب [٦].

**الزرادشتية:**

وهي تنسب إلى زرادشت، ولقد اختلف المؤرخون القدامى والمحدثون في زرادشت ولهم في ذلك عدة آراء نذكر منها ما يلي:

(١) الفلسفة الشرقية ص١٧٩، راجع في هذا أيضًا مصر والشرق الأدنى القديم جـ٦ ص ٤٣١.
(٢) الفلسفة الشرقية ص١٨١.
(٣) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ٢ ص٤٣٢.
(٤) راجع الفلسفة الشرقية ص١٨١-١٨٣.
(٥) إلهة الماء والخصوبة. ولقد صورها الفارسيون بعدة أشكال، وبدلوا اختصاصاتها كثيرًا (الفلسفة الشرقية ص١٨٢).
(٦) المرجع السابق ص١٨٣.

**الأول**: رأي من ينكرون وجوده، ويعدون كل ما ورد عنه من القصص من قبيل الخرافات والأساطير التي لا سند لها إلا الخيال، وهذا رأي القلة، ولم يقدم أصحاب هذا الرأي أدلة يعتد بها [١].

**الثاني**: رأي من يقول إن زرادشت شخصية تاريخية واقعية ولا سبيل إلى إنكارها [٢].

يقول د/ محمد غلاب: **«يجمع أكثر الباحثين على أن زرادشت قد وجد حقًا وإن كانوا جميعًا لا يجرءون على القول بأن لديهم أي برهان علمي يدل على وجوده»** [٣].

وقد اختلف هؤلاء المثبتون في تاريخ وجوده فمنهم من جعله مبدأ القرن السادس قبل الميلاد، ومنهم من أوصله إلى مبدأ القرن الستين قبل الميلاد [٤].

والرأي الراجح بين العلماء هو أنه ظهر في القرن السابع قبل الميلاد، وقالوا إنه ولد سنة ٦٦٠ ق.م وتوفى سنة ٥٧٣ ق.م [٥].

وهكذا نرى أن هناك اختلافًا كبيرًا حول شخصية (زرادشت)، وهل هو شخصية حقيقية أم خرافية؟ وإذا كانت حقيقية فما هو زمان وجودها؟ اختلاف آخر بين الباحثين:

والواقع أن كل هذه الآراء لا تفيد القطع ولا اليقين في وجوده أو عدمه، وإنما هي كلها ظن، فالنافون لم يقدموا أدلة يعتد بها، والمثبتون أدلتهم ظنية ولا يوجد عندهم دليل قطعي على وجوده، وإن كانت لهم بعض الشواهد والدلائل التي تفيد كونه شخصية حقيقية -وهذه الدلائل هي التي أفادت ترجيح رأى المثبتين.

---

(١) حامد عبد القادر: زرادشت الحكيم ص٢٥.

(٢) المرجع السابق ص٢٦.

(٣) الفلسفة الشرقية ص١٨٤.

(٤) حامد عبد القادر: قصة الأدب الفارسي جـ١

(٥) زرادشت الحكيم ص٢٧.

ولقد اختلطت الروايات التي رويت عن مولد زرادشت وعن الفترة السابقة لمولده بالقصص والأساطير-والتي تنبئ عن اعتقاد الفارسيين القدماء في زرادشت-.

منها «**ما روي من أن بعض رؤساء الملائكة تجمعوا فوق جذع نبات الهوم أو (الهاووما)** [١] وهو النبات الذي اختار ملاك (زرادشت) الحارس الولوج فيه، وبعد ذلك اقتيدت إلى شجرة النبات المذكور ست بقرات بيضاء، اثنتان منها - برغم أنهما كانتا بكرًا - ، صارتا حلوبتين، إذ أكلت هاتان البقرتان من نبات (الهاووما)، وبذا انتقلت طبيعة زرادشت من ذلك النبات إلى هاتين البقرتين واختلطت بلبن البقر، وبعد ذلك أغرى كاهن يدعى (بوروشاسبو) فتاة من أصل نبيل تدعى (داكوب) لتحلب البقر، وفي أثناء ذلك سحق (بوروشاسبو) نبات (الهاووما) ومزجه بلبن البقر وشرب هو والفتاة مسحوق نبات الهوم ممزوجًا باللبن حتى آخر قطرة، عندئذ امتزجا معًا، وأنبأ (أهورامازدا) بذلك، وهنا -كما يقول توملين- حدث اتحاد المجد، إذ اتحد الروح الحارس والطبيعة الجسدية لزرادشت في صورة صبي ذكر» [٢].

واستنتج العلماء من هذه الأساطير ومن غيرها أن الفارسيين القدماء اعتقدوا بأن -زرادشت هو روح الله، وأن هذه الروح التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري هبطت من السماء إلى الأرض وحلت برحم أمه فحملته

(١) وهو نبات كما يقول توملين -في ارتفاع قامة الإنسان رائع في لونه ممتلئ بالعصارة وهو طازج (فلاسفة الشرق ص١٤٦) وهو كما في المعجم الوسيط نبات من الفصيلة الصليبية له أوراق تشبه الياسمين (المعجم الوسيط جـ٢ ص١٠٠)، وكان لهذا النبات شأن كبير في ديانة الفارسيين القدماء، فكانوا يستخلصون منه شراب كحلي يسمى (هاومو) وكان البعض يعتقد أن (هاومو) هذا اسم لشخصية بين الآلهة والبشر، والبعض الآخر يعتقد أنه إله يجب أن يعبد، وقد عبد هذا الشراب بالفعل ووضعوا عدة أناشيد للتغني باسمه (راجع الفلسفة الشرقية ص١٨٢)، وكان عابدي الإله (مثرا) يشربونه ويعتقدون أن هذا الشراب يهبهم الخلود.

(٢) أ. و. توملين: فلاسفة الشرق ص١٤٦-١٤٧ ترجمة عبد الحميد سليم. ط. دار المعارف سنة ١٩٨٠م.

وولدته بشرًا سويًّا [١].

وتفصيل ذلك -كما جاء في روايات الزرادشتيين- أن العظمة القدسية أو روح القدس الذي صاحب زرادشت في أثناء حياته مع الناس على الأرض كان يسكن ملكوت السموات، وأنه ظل يحل بالكائنات العلوية واحدًا واحدًا إلى أن هبط من السماء إلى الأرض، وحل بجسد ذلك الرجل المختار، وروح القدس هذا الذي قدر له أن يحل بجسد هذا الرجل المختار هو من خلق (أهورامازدا) وأنه بعد أن صدر عن الرب مر بكل حلقة من حلقات السلسلة العلوية، سلسلة الكائنات أو الأجرام السماوية، ثم هبط من العالم العلوي إلى العالم السفلي، وحل بجسد المرأة التي قدر لها أن تكون أمًّا لهذا الرجل الرباني [٢].

والمسيحيون الذين يعتقدون بالتجسد الإلهي وحلول العنصر الإلهي بالعنصر الإنساني لا شك أنهم يشبهون بذلك الزرادشتيين.

**كتاب الزرادشتية:**

ولزرادشت كتاب مقدس يسمى (أفستا) ويسمى بالعربية أبستاق أو وستاق وعليه شرح يسمى (زند) ومعناه التفسير، ثم شرح الزند بكتاب سمى (بازند) ومعناه تفسير التفسير [٣].

وكان الابستاق يشتمل على واحد وعشرين سفرًا ولكن هذه النسخ فقدت. يقول الأستاذ حامد عبد القادر: **«ومن المقطوع به أن نسخ الأبستاق القديمة -مهما يكن عددها- فقد فقدت بعد فتح الإسكندر الأكبر لإيران** [٤].

---

(١) زرادشت الحكيم ص٢٣. (٢) المرجع السابق ص٣٤.

(٣) راجع المسعودي: مروج الذهب جـ١ ص٢٢٩-٢٣٠. دار الفكر. الطبعة الخامسة سنة ١٣٩٣هـ. (بيروت).

(٤) وكان ذلك في عام ٣٣١ ق.م. لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع (راجع التاريخ القديم ص١٠٨، قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ ص٤٥٧).

وفقد معها كل مؤلف يشتمل على أي جزء من أجزاء الأبستاق وسبب فقد هذه النسخة أو النسخ لا يعدو أن يكون أحد أمرين:

**الأول**: أن اليونان قد تعمدوا إعدامها، والثاني: أنها فقدت أو طمرت مع ما فقد أو طمر من آثار الإيرانيين ونفائس ذخائرهم بعد تخريب الإسكندر لمدينة برسبوليس بإيعاز من قواده [١].

ثم يقول: **«ويكاد يكون من المتفق عليه أنه لم يبق من أقسام الأبستاق الواحد والعشرين الأصلية إلا جزء واحد هو الكاتاها»** [٢]، وحتى هذا القسم الباقي اختلف في زمن ظهوره، وفي مؤلفه.

أما الأقسام الأخرى فقد انقرضت وقضى عليها.

ولقد شرع في كتابه أبستاق جديد في القرن الأول الميلادي (٥١م-٧٨م) ثم أكمل بعد ذلك في القرن الثالث (٢٢٦ - ٢٤٠) ولكنه فقد أيضًا، ولم يبق منه في الأبستاق الموجود حاليًا إلا ربع الأصل [٣].

والأبستاق الموجود حاليًا لا يحتوي إلا على مجموعة من الأدعية والترنيمات، والشعائر الدينية [٤].

هذا هو حال كتاب الزرادشتية وهو -كما ترى- قد اعتراه كثير من عوامل الضياع والنسيان والتحريف مما يفقده الثقة في كونه كتابًا لزرادشت نفسه.

**تعاليم زرادشت** [٥]:

وأساس الديانة الزرادشتية القول بوجود قوة عليا هي قوة الخير والنور

---

(١) زرادشت الحكيم ص٦٧، وعن نظرة الفارسيين للإسكندر الأكبر إزاء هذا العمل (راجع المرجع السابق نفس الصفحة، راجع أيضًا قصة الأدب الفارسي جـ١ ص١٨.

(٢) زرادشت الحكيم ص٦٧. (٣) المرجع السابق ص٦٨-٧٠.

(٤) عن أقسام الأبستاق وتفصيل ذلك راجع المرجع السابق ص٧١.

(٥) عن تعاليم زرادشت راجع د/ إحسان يارشاطير: الأساطير الإيرانية القديمة ص٢٢، وما بعدها ترجمة د/ محمد صادق نشأت. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥م.

وتسمى (أهورامازدا) أي النور العظيم، وبجانب هذه القوة سبعة ملائكة قديسيون يمثلون الفضائل السبعة العليا وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل، والإخلاص، والأمانة، والكرم.

وهذه الديانة -كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر- تفرض وجود شخصية شريرة تسمى (أهريمان) قوة الشر والظلام ويعاونها سبع من القوى الشيطانية الخبيثة المتمردة تمثل الرذائل الإنسانية الرئيسية وهي: النفاق، والخديعة، والخيانة، والجبن، والبخل، والظلم، وإزهاق الأرواح.

وبين هاتين الطائفتين من قوى الخير وقوى الشر صراع دائم ونزاع لا ينقطع وحرب أبدية. إذ أن كلاً منهما ترمي إلى السيطرة على العالم الإنساني، وفي وسط هذا النزاع الدائم وفي ميدان تلك الحروب المستعرة الأوار ينهض زرادشت ويذيع في الناس مبادئ ديانة قوامها الجهاد والصراع في سبيل إخضاع قوى الشر» [١].

**هذا وقد اختلف العلماء في دين زرادشت**: هل هو موحد يرى أن العالم يحكمه إله واحد، وأن ما في العالم من خير وشر، وما فيه من قوتين متنازعتين ليستا إلا مظهرين أو أثرين لإله واحد؟ أو هو ثنوي يرى أن العالم يحكمه إلهان، إله الخير، وإله الشر، وأن لكل إله ذاتا مستقلة؟ فهل هو موحد؟ أم ثنوي؟ اختلف الباحثون في الإجابة على هذا السؤال، فيرى كثيرون -كما يقول أحمد أمين- أنه ثنوي كما يدل عليه ظاهر كلامه، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض كتاب الإفرنج. ومنهم من كتب في دائرة المعارف البريطانية مادة زرادشت [٢].

ومنهم من يرى أنه موحد، نادى بالتوحيد. وإلى هذا ذهب

---

(١) قصة الأدب الفارسي جـ١ ص٣١. راجع أيضًا: زرادشت الحكيم ص٨٣.

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام ص١٠٣. مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية عشرة سنة ١٩٧٨م.

الشهرستاني [١]، والقلقشندي [٢] في صبح الأعشى وغيرهما.

ولقد أورد الأستاذ أحمد أمين رأيًا لأحد العلماء قال فيه: «**إن زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحدًا ومن الناحية الفلسفية ثنويا، بمعنى أنه من ناحية العقيدة الدينية كان يرى أن للعالم إلهًا واحدًا، ولكن إذا تعرض لشرح فلسفة العالم وما فيه من خير وشر، يتطاحنان وما إلى ذلك فهو ثنوي يرى أن في العالم قوتين**» [٣].

وهذا التوفيق في حقيقة الأمر غير مستساغ دينيًا -من وجهة نظرنا- فكون الإنسان معتقدًا بالتوحيد الخالص، هذا الاعتقاد يمنعه من القول بالثنوية، وفرق كبير بين الاعتقاد بالتوحيد وبالثنوية.

فالتوحيد يعني أن الله واحد لا شريك له وأنه هو الذي أبدع النور والظلمة.

أما الثنوية فإن الأمر يختلف إذ الثنوية يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان [٤] فهما إلهان اثنان إله للنور وإله للظلمة.

فالخلاف بين الباحثين قائم حول حقيقة الديانة التي نادى بها زرادشت، وترجيح أحد الرأيين ظني غير قطعي الثبوت.

يقول د/بركات دويدار : ومهما حاول الباحثون ترجيح أحد الرأيين علي الآخر فإن الأمر سيبقى مجرد ظن، وذلك أن المصدر الأساسي غير موجود، وحتى هذا الجزء الذي وجد أخيرا لا شك قد تناولته عوامل التغيير، حيث إنه لو كان يقيني النسبة لكفانا شر الحيرة، ولكن كيف يكون يقيني النسبة وقد بقي يتنقل مشافهة ما يقرب من خمسة قرون» [٥].

هذا وقد انتشرت الديانة الزرادشتية في البلاد الإيرانية بفضل تأييد بعض الملوك مثل دارا الأول (٥٤٨ق.م- ٥٢١ق.م)، ثم أرت خشتر الثاني (٤٠٤

(١) راجع الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ ص٢٣٧. مكتبة مصطفى الحلبي سنة ١٩٧٨م.
(٢) القلقشندي: صبح الأعشى جـ١٣ ص٢٩٣. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
(٣) فجر الإسلام ص١٠٣. (٤) الملل والنحل جـ١ ص٢٤٤.
(٥) د/ بركات دويدار: دراسة في الأديان ص١٠٢.

ق.م- ٣٥٩ ق.م) ثم الأسرة الساسانية (٢٢٦م- ٦٥١م) [١] ولكن انتشارها كان أقل من عبادات أخرى مثل عبادة مثرا التي سنتحدث عنها الآن.

**عبادة مثرا:**

يعتبر الإله (مثرا) من أشهر الآلهة الفارسية، وكان في أول الأمر إلها آريا، وكان يمثل أحد آلهة النور عندهم، ثم انتقل مع القبائل الآرية إلى بلاد فارس وبلاد الهند، ويعد من الآلهة التي انتشرت قديما بين الآريين ويدل علي ذلك أنه **«قد ظهر اسمه في القرن السادس عشر قبل الميلاد كشاهد قوى علي معاهدة أبرمت بين ملكين»** [٢].

وقد اكتشف الباحثون حديثا بعض النقوش التي ترجع إلي القرن الرابع عشر قبل الميلاد- وتدل هذه النقوش علي أن الملوك الفارسيين كانوا يقدسون بعض الآلهة وكان الإله (مثرا) أحد هذه الآلهة [٣].

واكتسبت عبادة (مثرا) أولوية في بلاد فارس علي بقية الآلهة الآخرين **«وشاعت عبادته قبل ظهور زرادشت، وظل تقديسه شائعا بين الفارسيين حتى بعد ظهور زرادشت نفسه، وقد ورد في بعض أسفار الأبستاق- وهو كتاب الزرادشتية كما أشرنا سابقا- أن ميثرا يوصف بأنه الحارس للمراعي، اليقظ الذي لا ينام، وبأنه المنعم المتفضل الذي يهب المراعي لمن يشاء بمحض إرادته، ولا يؤذى من يقوم على فلاحة الأرض واستغلالها، وبأنه الإله القادر العالم الذي لا يخدع أبدا»** [٤].

ولقد ظلت عبادة (مثرا) قائمة إلى جانب (أهورامازدا) إله الزرادشتية- حتى في أفضل أوقات الزرادشتية انتشارا في عهد دارا الأول (٥٢١- ٤٨٥ ق.م).

والإله (مثرا) كان يعبد -في صورته الفارسية- علي أساس أنه رب الشمس

(١) قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ ص(٤٣٥-٤٣٧) .

(٢) د/ فهيم عزيز: المدخل إلى العهد الجديد ص٦٦. دار الثقافة المسيحية.

(٣) دائرة المعارف البريطانية جـ٢٨ ص١٠٣٩ نقلاً عن زرادشت الحكيم ص٢١.

(٤) المرجع السابق ص٢٠.

وإله النور، الذي يتمثل فيه الحق وتغمره الفضيلة التى هى ضد الظلام والظلم، وأنه هو الوسيط بين الإله الأعلى للكون والإنسان الضال، ولهذا جاء مثرا ليهديهم -كما يعتقدون- سواء السبيل [١].

وهناك أسطورة تحكي قصة وحياة (مثرا) وعمله في هذه الدنيا. تقول الأسطورة: **«إن مثرا ولد من الصخرة العظمى، وعندما خلق أهورامازدا -وهو يمثل الإله الأعظم في نظرهم- (الثور العظيم) هرب منه، فما كان من مثرا إلا أن تعقبه ثم قدم ذلك الثور ذبيحة حتى يمكن للأرض أن تخصب من دمائه المنبثقة، ولكن (أهورما) إله الشر أراد أن يمنع تلك الدماء من أن تنسكب على الأرض** [٢] فتخصبها فأرسل العقارب حتى يمنع مثرا من ذبح (الثور)، ولكن (مثرا) انتصر عليه وانسكبت الدماء وأخصبت الأرض، ويقولون: إنه ما أن ارتفع إلى السماء حتى أولى رعايته لأرواح المؤمنين من أشياعه.

**«وكان مثرا في نظر عباده بطلًا مخلصًا صوّر على الكهوف كشاب قوي في زي شرقي وهو ينحر ثورًا قويًا بكل هدوء كذلك لم يكن مثرا -في نظرهم- صاحب النعم على البشر فحسب بل أيضًا شفيعًا لهم يوم القيامة أمام رب النور الأكبر أهورامازدا، وكان مثرا أيضًا في نظر عباده هو الذي ينظر في الأرواح ويحاسبها على ما قدمت وأخرت وكان دائمًا في صف البشر ومحبًا لهم** [٣].

**وكان معتنقو هذه الديانة يقومون ببعض الطقوس اهمها:**

إن من يريد أن يدخل في هذه الديانة لا بد وأن يمر بسبع درجات تحمل أسماء: الغراب والمستور، والجندي، والأسد، والفارس، وعداء

---

(١) د/ سيد أحمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ص١١٦ ط. دار النهضة المصرية سنة ١٩٧٥م.

(٢) المدخل إلى العقد الجديد ص٦٩، ٧٠. راجع أيضًا: ((معالم تاريخ الإنسانية المجلد الثاني ص٦٣٣).

(٣) تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري .

الشمس، والأب [١].

ولكل درجة من الدرجات السابقة لبس خاص بها، وعندما يصل المؤمن بهذه الديانة إلى درجة ما، عليه أن يلبس اللبس الخاص بها، فمثلاً عندما يصل إلى برج الجندي فإنه يلبس لباس الجندية، ثم يدخل إلى كهف عسكري ويمسك بسيف يضعه على رأسه ثم يرفعه ويضعه على كتفه ليظهر أن (مثرا) هو تاجه ومجده وأنه هو جنديه وشهيده إذا لزم الأمر، وعندما يصل إلى برج الشمس فإنه يسمى شريكًا وعندما يصل إلى النهاية يدخل في عهد السرية التامة [٢].

وإلى جانب هذه الرحلة الدينية كان عليه أن يقوم بطقوس أخرى، فهناك المعمودية بالتغطيس لإزالة ثقل الخطية والتطهير من الشر، وبعد المعمودية يولد الإنسان، -في نظرهم- ولادة ثانية.

وهناك مائدة مثرا وهي مائدة مقدسة يأكل منها مع الإله مثرا ليشترك معه في موته وقيامته [٣].

واعتبرت هذه الديانة يوم الشمس يومًا مقدسًا (الذي أصبح يوم الأحد فيما بعد) واختارت هذا اليوم ليكون عطلة أسبوعية مقدسة، كما اختارت يوم الخامس والعشرين من ديسمبر ليكون عيدًا لقيامة مثرا، وصعوده إلى السماء[٤].

والطقوس المسيحية تشبه بدرجة كبيرة -كما ترى- هذه الطقوس الوثنية وتتطابق معها إلى حد كبير.

وقد اعترف بهذا التشابه أحد أساتذة علم اللاهوت المسيحي د/ فهيم عزيز

---

(١) حضارة روما ص٣٧٧.

(٢) المدخل إلى العهد الجديد ص٧٠.

(٣) المرجع السابق ص٧١.

(٤) د/ عبد القادر أحمد اليوسف: العصور الوسطى الأوروبية ص٣٤، المكتبة العصرية بيروت سنة ١٩٦٧م.، راجع أيضًا تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري ص٤١٧.

فقال -بعد أن ذكر ديانة مثرا- «**هذه هي ديانة مثرا وفيها نجد التشابه الكبير بينها وبين المسيحية في الطقوس: المعمودية، والولادة الثانية، والأكل مع الإله، واختبار الموت، والقيامة مع الإله**»[١].

ثم نجده بعد ذلك يحاول تبرير هذا التشابه بقوله: «**ولكن ماذا يميز المسيحية عن المثرائية؟**.

إن الفرق العظيم الذي يكون فجوة لا تعبر بين الاثنين هو أن المسيحية ديانة نبتت على حقيقة تاريخية ملموسة، ومركزها هو شخص عاش في التاريخ مات وقام، عرفوه ورأوه ولمسوه وشهدوا له بحياتهم، أما ديانة مثرا وغيرها فهي ديانة طقسية، بنيت على أساطير لا أساس تاريخي لها هي من خيال الإنسان الذي يريد الخلاص»[٢].

وهذا التبرير -كما ترى- غير مقنع، فهل يعقل أن يأتي دين من عند الله بما يطابق خيال وأساطير الإنسان -ذلك الإنسان الذي اخترع بعض القصص والأساطير التي تتناسب وعقيدة الخلاص؟ وهل يعقل أن يأتي الإنسان غير المعصوم بأساطير يظهر منها الطقوس المحكمة التي يريدها الله منا؟ هل يعقل هذا التطابق الأسطوري للطقوس وما يترتب عليها من نتائج وآثار؟.

إن التشابه بين الديانتين بلغ درجة كبيرة بينهما، فليس تشابهًا ظاهريًا ولا شكليًا وإنما هو تطابق في الطقوس وطريقة القيام بها، وما يترتب عليها من اعتقادات وعبادات.

هذا إلى جانب أن ما يريد أن يثبته الباحث المسيحي من أن المسيح قد مات وقام وبثه لهذه المقولة على أنها حقيقة تاريخية، أما نحن فنتساءل عمن قال ذلك؟ إنها ليست حقيقة وليست تاريخية، فالنصوص التي ساقها

---

(١) المدخل إلى العهد الجديد ص٧١.

(٢) المرجع السابق: نفس الصفحة.

المسيحيون للدلالة على هذا متناقضة ومتضاربة بحيث لا يمكن أن نثبت منها عقيدة؟؟ [١]

**انتشار الديانة المثرائية في الإمبراطورية الرومانية:**

وقد لاقت هذه الديانة رواجًا كبيرًا بين الرومانيين وخاصة الجنود العسكريين حيث أغرموا بها وبطقوسها وأسرارها وقاموا بنقلها إلى جميع أنحاء العالم.

ولقد مهدت سياسة الإسكندر الأكبر بصفة عامة إلى عديد من الاتصالات بين الشعوب -بعضها البعض «**وأخذت تجارة الشرق الأقصى تشق طريقها نحو منطقة البحر المتوسط وبدأت عبادة مثرا تتجه نحو الأناضول وإيطاليا** [٢].

هذا وقد اتخذت (ديانة مثرا) آسيا الصغرى مركزًا لانطلاقها وانتشارها في الإمبراطورية الرومانية، فامتدت عبادته إلى سواحل البحر المتوسط وإلى طرسوس -المدينة التي ولد فيها بولس المسيحي- حيث انتشرت في أنحاء الإمبراطورية الرومانية [٣].

وساعد على انتشارها اعتناق الجنود الرومان لها، فالجنود الرومان الذين أرسلوا إلى كيليكيا (في جنوب آسيا الصغرى) اعتنقوا المثرائية، وذلك لأن ما فيها من دعوة إلى الحرب والكفاح استهواهم استهواء عظيمًا [٤].

ثم كان التجار السوريون والعبيد المشارقة - بعد الجنود - هم الذين نشروا عبادة هذا الإله الفارسي [٥].

---

(١) راجع للمؤلف رسالة الماجستير (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه)، الباب الثاني، الفصل الرابع، ورسالة الدكتوراة (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية) الباب الثالث، الفصل الثالث.

(٢) تراث فارس ص٤٥.

(٣) د/ أحمد الخشاب: الاجتماع الديني ص١٤٩. الطبعة الثالثة. مكتبة القاهرة الحديثة سنة ١٩٧٠م.

(٤) تراث فارس ص٤٢٥.

(٥) نخبة من العلماء (بإشراف السيرجون هامرتن: تاريخ العالم (المجلد الرابع) ص٧٢.

وبدأت هذه الديانة تنتشر شيئًا فشيئًا، وما أن وافت القرون الأولى من التاريخ الميلادي حتى انتشرت هذه الديانة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت أروج العقائد وأشهرها في روما نفسها وظهر «**ميثرا الشمس التي لا تغلب**» على العملات الرومانية في صورة فارس [١].

هذا إلى جانب أنها انتشرت أيضًا في الموانى والمراكز التجارية مثل الإسكندرية وقرطاجنة ولندن [٢]، ورأى بعض الباحثين استنادًا إلى بعض الشواهد أنه كان من الممكن أن تصبح عقيدة (مثرا) بمضي الزمن الدين الرسمي للرومان [٣].

* * *

(١) قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ ص٦.

(٢) تاريخ العالم (المجلد الرابع) ص٧٢.

(٣) د/ محمود الحويري: رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية ص٤٧. دار المعارف سنة ١٩٨١م.